

المنهج الوقائي لتحقيق الأمن من خلال كتاب الفتن للمروزي

**Al Fitan "The preventive approach to achieving security through
the book" By Al-Marwazi**

سلمى دميري*

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)

oussibni@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/27 تاريخ القبول: 2022/04/06 تاريخ النشر: 2022/06/30

الملخص:

هذا البحث يتناول موضوع الفتن وسبل الوقاية منها من خلال مصنف حديثي هو: "كتاب الفتن للحافظ نعيم بن حماد المروزي". ولا يخفى على أحد أن الفتن تعصف بالأفراد والجماعات وأنها في تزايد واشتداد مما يدفع للبحث عن الأسباب والحلول... وكتاب الفتن للمروزي اقتصرت الدراسات السابقة حوله على تخريج أحاديثه من خلال التحقيق، إلا أن الكتاب بما يصلح فيه للاحتجاج من المرفوع من الحديث الشريف يمثل مادة حديثة للدراسة الموضوعية في باب الفتن وهو مما لم تتعرض له البحوث من قبل. والهدف من الدراسة إمطة اللثام عن هذا السفر النفيس بتتبع المقبول من أحاديثه المرفوعة وتصنيفها وبيان دلالاتها على أنواع شتى من الفتن منها التي حدثت ومنها التي لم تحدث بعد، ثم المرور إلى منهج الرسول الكريم في الاحتراز منها ودفع ضررها من خلال ذات النصوص، باتباع المنهج التحليلي الاستنباطي وصولاً إلى أن الفتنة مهلكة للفرد مشتتة للجماعة، مفسدة للدين والدنيا، وأن النجاة منها في الالتزام بمنهجه ﷺ وتطبيقه كما طبقه الصحابة.

الكلمات المفتاحية: الفتن، الملاحم، الابتلاء، التدابير الاحترازية، الوقاية، أشرار الساعة، المروزي، نعيم بن حماد.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research is an objective study in the Hadith dealing with the study of temptation. And it is a contemporary issue in which all societies coexist and all nations are confused with, through the book of temptation by Imam Naim Ben Hammad and try to prevent it. And the research was exposed to the vocabulary of the title and the words related to it, then to the types of temptations mentioned in the narratives of Naim Bin Hammad by collecting and categorizing in order to reach the Sunnah's approach in preventing them in order to preserve the Muslims in their livelihood and their return. The research concluded with the most prominent results and decisions reached.

Keywords : temptation; prevent; security; Al-Marwazi; Naim Ben Hammad

في هذه الحياة تعترض الإنسان الكثير من الأحداث التي تفرض نفسها أمرا واقعا ينبغي عليه التعامل معه بحذر وروية، وهذه الأحداث في جوهرها لا تعدو أن تكون فتنا يبتلى بها العبد ويختبر بها إيمانه، والحقيقة أنه لمواجهة لا بد له من نور يتبعه وهادٍ يرشده.

وال تصنيف في باب الفتن أخذ مساحة معتبرة من التراث الإسلامي سيما في جمع النصوص المتعلقة به، ولعل كتاب الحافظ نعيم بن حماد المروزي أقدمها؛ لكنه مع جمعه وإيعابه إلا أنه يفتقر إلى تمحيص الرواية وغربلة الأسانيد؛ فكثير المردود منه وقلّ المقبول، ولم يحظ الكتاب رغم ثراء مادته بدراسات حوله؛ اللهم إلا التحقيق الذي حظي به عند إخراج.

إشكالية البحث وفرضياته: يتمحور السؤال المركزي لهذا المقال على إسهام الروايات المأثورة في تكوين موقف عقدي من الفتن، وفي بيان أهم الفتن التي تضمنتها نصوص هذه الروايات، وفي المنهج المستخلص للوقاية منها في ضوء تلك الروايات نفسها. وهو ما يثير بعض الأسئلة الفرعية حول مدى صحة بعض هذه المضامين، خصوصا في ضوء تعارض الروايات في المسألة الواحدة، وكذا في إمكانية استخلاص منهج متكامل حول تكفل الروايات المأثورة لأهم التدابير الاحترازية من الفتن المذكورة أو غير المذكورة.

والهدف من البحث هو محاولة تسليط الضوء على منهج السنة الوقائي للحفاظ على أمن الفرد والجماعة من خلال ما يصلح للاحتجاج من المرفوع من مرويات نعيم بن حماد في كتابه هذا، وهو بذلك يقدم ملخصا لمضمون الكتاب في شكل دراسة موضوعية تستنطق بنصوصه وتستنبط منها أصول هذا المنهج، وهو من الأمور غير المطروقة من قبل.

ولتحقيق هدف البحث اعتمد هذا المقال في منهجه على التحليل والاستنباط بتتبع المرفوع من أحاديث الكتاب المتعلقة بالفتن وتحليل مضامينها من حيث متعلّقها ووقت حدوثها والآثار المترتبة عليها، ثم استنباط طرق الوقاية من الفتن للإبقاء على الأمن باعتباره ضرورة حياتية للأفراد والجماعات المسلمة. وقد جرى العمل وفق الخطة التالية:

المبحث الأول: شرح مفردات العنوان وقيمة الكتاب العلمية.

المبحث الثاني: دلالات الفتن الوارد ذكرها في كتاب أبي نعيم.

المبحث الثالث: المنهج الوقائي لتحقيق الأمن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمقررات المستخلصة.

المبحث الأول: شرح مفردات العنوان وقيمة الكتاب العلمية:

للوصول إلى تكوين تصور صحيح لدلالات الألفاظ ومعانيها لابد من معرفة الأصول اللغوية للمفردات ومركباتها ثم المرور بالتعريفات الاصطلاحية.

المطلب الأول: مفردات العنوان والألفاظ ذات الصلة:

1/ مفهوم المنهج الوقائي: المنهج الوقائي مصطلح مركب تركيباً وصفيًا من لفظين: المنهج وهو الموصوف، والوقائي وهو الصفة.

أ/ المنهج: لغة:

جاء في لسان العرب: "أنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجًا واضحًا بينًا، والمنهج عنده- بفتح الميم وكسرهما- هو النهج والمنهاج؛ أي: الطريق الواضح والمستقيم." ¹ وهذا مصطلح قرآني ورد في قول الله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"-المائدة 48- وفي الحديث عن قال ابن عباس: "ترككم عن حجة بيّنة وطريق ناهجة." ² يعني سنة رسول الله ﷺ. قال الخطابي في بيان ناهجة واضحة بيّنة. ³

اصطلاحاً:

تتعدد التعريفات الاصطلاحية للمنهج كونه متعلقاً أكثر بالعملية التربوية والدراسات البيداغوجية. ولعل من أشمل تعاريفه أنه: "مجموعة الخبرات التي تسعى المدرسة لتحقيقها للطلبة داخلها أو خارجها وذلك بغرض مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل أيالهمو في الجوانب العقلية والثقافية والدينية والاجتماعية والجسمية والنفسية والفنية". ⁴

ب/ الوقاية: لغة:

في لسان العرب: "وقى وقاه الله وقياً ووقاية وواقية: صانه. وفي الحديث: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". ⁵ وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى، وهذا اللفظ خبر أريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة". ⁶

¹ محمد بن منظور الإفرقي. لسان العرب. ط1 بيروت. دار صادر. 1412هـ/1992م. 383/2. مادة نهج.

² عبد الرزاق بن همام الصنعاني. مصنف عبد الرزاق. ت: حبيب الأغظلي. ط2. بيروت. المكتب الإسلامي. 1403هـ. رقم 9754/ 5. 428/ وأخرجه: أحمد بن علي بن حجر. المطالب العالية. ت: سعد الشثري. ط1. الرياض. دار الغيث للنشر. 1420هـ/2000م. رقم 4442/12. 284/

³ حمد بن محمد الخطابي. غريب الحديث. ت: عبد الكريم العزباوي. مكة المكرمة. جامعة أم القرى. 1402هـ. 241/2.

⁴ ابتسام الزويني وآخرون. المنهج وتحليل الكتاب. ط1. عمان. دار صفاء للنشر والتوزيع. 1434هـ/2013. ص24

⁵ محمد بن اسماعيل البخاري. صحيح البخاري. ت: مصطفى ديب البغا. ط3. بيروت. دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ/1987م. كتاب الزكاة.

باب اتقوا النار ولو بشق تمرة. رقم 1351. 514/2.

⁶ ابن منظور. لسان العرب. 401/15. مادة وقى

اصطلاحاً:

الوقاية مجموعة الإجراءات والخدمات المنظمة والمقصودة التي تهدف إلى الحيلولة دون-أو الإقلال من -حدوث الخلل⁷. والوقاية على هذا المفهوم حفظ الشيء مما يضره ويفسده، والوقائي اسم منسوب إلى إلها وهو يؤمن الوقاية ويضمنها. ويمكن تعريف المصطلح المركب "المنهج الوقائي" بأنه: مجموعة الإجراءات الوظيفية والخطط الفعالة لاتقاء شرٍّ مرتقب يغير الشيء عن طبيعته ويخرجه عن أصله. أما من زاوية الدراسة فيعرف المنهج الوقائي على أنه مجموعة الإجراءات الاحترازية التي شرعتها السنة النبوية حماية للفرد والجماعة من الوقوع في الفتن بكل أنواعها إلى قيام الساعة.

2/الأمن: لغة:

جاء في لسان العرب: " (أمن) الأمان والأمانة بمعنى وقد أمنتُ فأنا أَمِنٌ وأمنتُ غيري من الأمن ، والأمن والأمان ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة والإيمان ضد الكفر والإيمان بمعنى التصديق وضده التكذيب. . . قال ابن سيده: الأمن نقيض الخوف أمن فلان يأمن أمانة وأمانة حكي هذا الزواج، وأمانة وأمانا فهو أَمِن، والأمانة الأمن ومنه أمانة نعاسا-في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَوِّسُكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ﴾⁸. وفي معجم مقاييس اللغة: "الأصلان متقاربان أحدهما الأمانة ضد الخيانة ومعناها سكون القلب والآخر التصديق".⁹

اصطلاحاً:

عرّفه الجرجاني في كتابه التعريفات بأنه "عدم توقّع مكروه في الزّمان الآتي".¹⁰ ومن المعاصرين عرّفه أسامة عبد السميع في كتابه الأمن الاجتماعي في الإسلام بأنه: "الاستقرار وعدم الخوف"¹¹. ومن ثمّ نجد أن التعريف الاصطلاحي للأمن لا يخرج عن مدلوله اللغوي فهو يتضمن الطمأنينة القلبية والاستقرار الحسي والمعنوي-منه-الموجبين للتصديق، ويضادّه الخوف والاضطراب الحاصلين ببقاء أسبابهما من كفر وخيانة وما يقع تحتها.

⁷ لم أعثر إلا على هذا التعريف الاصطلاحي في بحث على النت بعنوان: مفاهيم حول الوقاية. نشر بتاريخ: 2012/12/18 على صفحة: في المقدمة. الموقع: <http://kfcq.hasaedu.sa/?portfolio>

⁸ الأنفال، 11

⁹ أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. ت: عبد السلام هارون. ط1. دمشق: دار الفكر. 1399هـ/1979م. 1/133-134

¹⁰ علي بن محمد الجرجاني. التعريفات. ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت. دارالكتب العلمية. 1403هـ/1983م. 1/55

¹¹ أسامة عبد السميع. الأمن الاجتماعي في الإسلام. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة. 2009م ص19

3/الفتن: لغة:

لمصطلح الفتنة جذور في اللغة وهي مصدر كالفتن والفتون وكل ذلك مأخوذ من مادة "فتن" التي تدل على الابتلاء والاختبار. يقال فتنت أفتن فتنا، وفتنت الذهب بالنار إذا امتحنته¹²، وقال ابن الأعرابي: "الفتنة الاختبار والفتنة المحبة والفتنة الإحراق بالنار وقيل أيضا الفتنة الظلم"¹³. وقال ابن منظور: "والفتنة تأتي بمعنى الإثم وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أُنْذِرْنِي وَلَا تَقْتُلْنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾"¹⁴ أي لا تؤثمني بأمرك وإذا أضيف لفظ الفتنة فإن معناه يختلف باختلاف ما يضم إليه ففتنة الصدر الوسواس، وفتنة المحيا العدول عن الطريق، وفتنة الممات سؤال القبر وفتنا القبر منكر ونكير"¹⁵. ومن هذه التعريفات يتبين أن الفتنة تتضمن معنى الابتلاء والاختبار، ومدلولها يكشفه السياق الذي ترد فيه، كما أنها تختلف باختلاف ما يضاف إليها.

اصطلاحاً:

والفتنة اصطلاحاً عند الجرجاني: ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر¹⁶. ويعرفها المناوي بأنها "البلية، وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة"¹⁷. وقال عنها ابن حجر: "قيل أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته الفتنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريم والفضيحة والفجور وغير ذلك"¹⁸. وتتبع هذه التعاريف يفضي إلى أنها لا تخرج عن معانيها اللغوية من الاختبار والابتلاء والامتحان لقياس صبر العبد ودرجة ثباته على الطاعة ومخالفة الهوى.

4/الألفاظ ذات الصلة بالأمن:

*الاستقرار: الاستقرار لغة من الثبات في مكان أو على حال، ومنه قول الله تعالى: "فانظر إلى الجبل إن استقرّ مكانه فسوف تراني"¹⁹، أي ثبت مكانه ولم يتزحزح²⁰. والاستقرار يأتي نتيجة لتحقيق الأمن كحالة يتصف بها الفرد أو المجتمع.

¹² ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. 4/473

¹³ ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. 4/473

¹⁴ التوبة. 49

¹⁵ ابن منظور. لسان العرب. 4/3346

¹⁶ الجرجاني. التعريفات. 1/65

¹⁷ عبد الرؤوف المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. القاهرة. عالم الكتب 1410هـ/1990م. ص256

¹⁸ أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت. دار المعرفة. 1379هـ. 3/13

¹⁹ سورة الأعراف. الآية143

²⁰ أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة. عالم الكتب. 1429هـ/2008م. 1/110

*السلم: السلم من المسألة، وبفتح السين يراد به الاستسلام والانقياد وبكسرها يراد به الصلح ضد الحرب.²¹

و السلم والسلم دعامتان تفضيان إلى فرد آمن ومجتمع آمن.

5/الألفاظ ذات الصلة بالفتن:

*الابتلاء: بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته اختبرته، وبلاه يبلوه بلوا إذا جربه واختبره، وقد ابتليته فأبلاني أي استخبرته فأخبرني.²² ومثله "الامتحان والاختبار" في تقارب شديد بين معانيها-هذه الثلاثة- وهي تتفق مع الفتنة في طرق تأتيا خيرا أو شرا. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾²³.

*الملاحم: الملحمة الواقعة العظيمة القتل وقيل موضع القتال، ألحمت القوم إذا قتلهم حتى صاروا لحما.²⁴ وبعض الفتن تؤدي إلى تلاحم الجيوش ونشوب الاقتتال فالفتنة سبب الملحمة ، والفتنة أعم وأشمل للملحمة وغيرها.

المطلب الثاني: التعريف بمؤلف الكتاب وأقوال العلماء فيه:

التعريف بمؤلف الكتاب:

اسمه ونسبه:

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث ابن همام بن سلمة بن مالك، أبو عبد الله الخزاعي الأعور المروزي من أهل خراسان، وهو من الرحالة في طلب الحديث. طلب الحديث في العراق والحجاز ثم نزل بمصر فلم يزل بها حتى ابتلي في محنة القول بخلق القرآن فلم يجب إلى ذلك فحمل إلى بغداد وسجن حتى مات بالسجن سنة ثمان وعشرين ومائتين صامدا ثابتا على الحق والنهج المستقيم.²⁵

شيوخه:

شيوخه كثر ولكنهم يتفاوتون في درجات القبول لمروياتهم ، بل إن أكثر من روى عنهم منكر الحديث متروك وهذا الذي أثر على مصنفه ووضعه على المحك رغم قيمته العلمية وأسبقيته في التأليف في هذا الفن.

²¹ انظر: لسان العرب لابن منظور. 297/12

²² ابن منظور. لسان العرب. 264/1

²³ الأنبياء، 35

²⁴ ابن منظور. لسان العرب. 535/12

²⁵ انظر: محمد بن أحمد الذهبي. تذكرة الحفاظ.. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1419هـ/1989م. 414/2 وأحمد بن علي البغدادي. تاريخ بغداد. ت: بشار معروف. ط1. بيروت. دار الغرب الإسلامي. 1422هـ/2002م. 306/13 ومحمد بن أحمد الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ت: علي البجاوي. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1382هـ/1963م.. 267/4

فمن شيوخه المقبولين الحسين بن واقد المروزي-الذي ثبتت رؤيته له- وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة وأبي حمزة السكري وعبد الله بن المبارك وإبراهيم بن طهمان-روى عنه حديثا واحدا- ، وروى أيضا عن خارجة بن مصعب وأبي داود الطيالسي وحفص بن غياث ويحي القطان والوليد بن مسلم وخلق كثير من خراسان والشام والعراق والحرمين واليمن ومصر.²⁶ وأكثر مروياته عن ضعفاء منهم من اشتهر برواية المناكير كإسماعيل بن زكرياء وسعيد بن دهثم²⁷ أو مجمع على ضعفه كعبد السلام بن عبد القدوس²⁸ أو متروك كعبد الرحيم بن زيد العمي ومروان بن سالم الجزري واليسع بن طلحة²⁹ ونوح بن أبي مريم.³⁰ تلامذته:

نعيم بن حماد المروزي روى عن كثيرين كما روى عنه كثيرون من أئمة الحديث، فهو يعد من رجال الصحيحين على قلة ما ثبت له من رواية فيهما فقد روى عنه البخاري مقرونا بغيره، وروى له أصحاب السنن وغيرهم.

قال ابن حجر في مقدمة الفتح "لقبه البخاري ولكنه لم يخرج عنه في الصحيح سوى موضع أو موضعين وعلق له أشياء آخر، وروى له مسلم في المقدمة موضعا واحدا وأصحاب السنن إلا النسائي".³¹

وقال الذهبي في السير: "روى عنه البخاري (1) مقرونا بآخر، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة بواسطة، ويحيى بن معين، والحسن بن علي الحلواني، وأحمد ابن يوسف السلي، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن عوف، والرمادي، وأبو محمد الدارمي، وسمويه، وأبو الدرداء عبد العزيز بن منيب، وعبيد بن شريك البزار، وأبو حاتم، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، ويعقوب الفسوي، وأبو الاحوص العكبري، وبكر بن سهل الدمياطي، وخلق آخرهم موتا شاب كاتب كان معه في السجن اتفاقا وهو حمزة بن محمد بن عيسى البغدادي".³²

²⁶ أحمد بن علي بن حجر. تهذيب التهذيب. ط. دمشق. دار الفكر. 1404هـ/1984م. 409/10 والخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. 306/13.

314

²⁷ الذهبي. الميزان. 229/1 و234/1

²⁸ الذهبي. الميزان. 617/2

²⁹ الذهبي. الميزان. 102/2 والميزان. 652/3 والميزان. 445/4

³⁰ ابن حجر. تهذيب التهذيب. 486/1 و489/1

³¹ ابن حجر. مقدمة فتح الباري. 447/1

³² محمد بن أحمد الذهبي. سير أعلام النبلاء. ت: شعيب الأرنؤوط وجماعة. ط. 11. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1417هـ/1996م. 595/10

عقيدته:

كان رحمه الله تعالى في بداياته على غير الجادة متبعاً عقيدة ضالة أسس لها الجهم بن صفوان وسار عليها أتباعه وهم القائلون بالجبرية الخالصة³³، وهو يصرح بهذا في قوله: "أنا كنت جهمياً فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل".³⁴ وبعد أن هداه الله إلى الحق والسنة انقلب إلى مهاجم للجهمية مدحز لقواعدها حتى بلغت تأليفه في الرد على القوم ثلاثة عشر كتاباً³⁵ ساعده في ذلك معرفته بمذاهبهم وتأثره بردود شيخه -نوح أبي عصمة- الشديدة عليهم.³⁶

ظل نعيم بن حماد سنياً في عقيدته مدافعاً عنها مبيناً لأصولها. ومن أمثلة ذلك عنه في باب الصفات ما رواه محمد بن اسماعيل الترمذي قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: "من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه".³⁷

وابتلي نعيم بن حماد بمصر بفتنة القول بخلق القرآن ونقل بسببها إلى العراق وحبس بسامراء بعد أن رفض أن يجيب إليها -كما هو ديدن أئمة السنة وفطاحلتها- وبقي في محبسه إلى أن توفي به وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده -رحمه الله تعالى- ليشهد الله عز وجل أنه مخلص.³⁸ مما تقدم يتبين أن مسلكه في الاعتقاد كان مسلك أهل السنة والجماعة وأنه ثبت أمام فتنة القول بالقرآن ولم ينجس ولم يبدل حتى لاقى الله تعالى صابراً مدافعاً.

العلوم التي اشتهر بها:

أبرز ما اشتهر به نعيم بن حماد جمع المسند من الحديث والعناية به وتصنيفه. روى الميموني عن أحمد قال: "أول من عرفناه جمع المسند نعيم بن حماد"³⁹، وقال أبو بكر الخطيب: "يقال أول من جمع المسند وصنّفه نعيم".⁴⁰ كما أنه كان يوصي طلبته بذلك ويحضهم عليه. قال المروزي: "سمعت أبا عبد الله يقول: جاءنا نعيم بن حماد ونحن على باب هشيم نتذاكر المقطعات، قال: جمعت حديث رسول الله ﷺ؟ قال: فعطينا بها من يومئذ".⁴¹

³³ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. الملل والنحل. ت: عبد العزيز الوكيل. القاهرة. مؤسسة الحلبي وشركاؤه. 1387هـ/1968م. 1/111

³⁴ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد. 13/307

³⁵ الذهبي. السير. 10/599

³⁶ الذهبي. السير. 10/597 وقد كان نعيم كاتباً لأبي عصمة.

³⁷ الذهبي. السير. 10/610

³⁸ الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. 13/313 ومحمد بن سعد البصري. الطبقات الكبرى. ط1. بيروت. دار صادر. 1388هـ/1968م. 7/519

³⁹ الذهبي. السير. 10/597

⁴⁰ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد 13/306

⁴¹ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد 13/306. المقطعات: أقوال الصحابة والتابعين.

وإلى جانب سبقه في جمع المسند وترتيبه على الأبواب عُدَّ أعلم أهل زمانه بالفرائض لبراعته فيها. قال العباس بن مصعب: "كان أعلم الناس بالفرائض"⁴²، وقال أبو عبد الرحمن: "سألت أبي عن نعيم بن حماد. فقال: كنا نسميه نعيما الفارض. كان أعلم الناس بالفرائض"⁴³.

مؤلفاته:

ألف الإمام نعيم بن حماد الخزاعي المسند من الحديث⁴⁴ كما ذكر الخطيب البغدادي عن أبي الحسن الدارقطني قال: "أول من ألف مسندا وتبَّعه نعيم بن حماد"⁴⁵. وألف ثلاثة عشر كتابا في الرد على الجهمية وإبطال عقيدتهم⁴⁶، بالإضافة إلى كتاب الفتن وهو موضوع هذا البحث. أقوال العلماء فيه: اختلف العلماء في شخصية نعيم بن حماد بسبب مروياته الضعيفة فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه بل ذهب بعضهم إلى اتهامه بالوهم والوضع.

فمن وثقه الإمام أحمد والعجلي وابن معين الذي قال فيه: "صدوق ثقة أنا أعرفُ الناس به كان رفيقي بالبصرة"⁴⁷ ووثقه ابن حبان إلا أنه أشار إلى ما يعتريه من ضعف فقال: "ربما أخطأ ووهم".⁴⁸

وروى له البخاري لكن مقرونا بغيره.⁴⁹ وقال عنه ابن حجر: "وأما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه ولكن في حديثه أوهام معروفة".⁵⁰

قال عنه الذهبي في السير: "هو الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله المروزي الخزاعي صاحب التصانيف"⁵¹، وقال عنه: "نعيم من كبار أوعية العلم لكن لا تركز النفس إلى روايته".⁵²

⁴² ابن حجر. التهذيب. 460/10

⁴³ الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. 306/13

⁴⁴ "المسند من الحديث: أن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه وكذا سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابي إلى رسول الله ﷺ". محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. معرفة علوم الحديث. ط2. بيروت. دار الكتب العلمية 1397هـ/1977م. ص17

⁴⁵ أحمد بن علي الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. ت: محمود الطحان. الرياض. مكتبة المعارف. 1403هـ/1989م. رقم 290. 1889/2

⁴⁶ سبق تخريجه ص6

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 410/10 و الذهبي. الميزان. 268-269/4⁴⁷

محمد بن حبان البستي. الثقات. ت: محمد خان. ط1. حيدر آباد. دار المعارف العثمانية. 1393هـ/1973م. 319/9⁴⁸

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 462/10⁴⁹

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 462/10⁵⁰

الذهبي. سير أعلام النبلاء. 609/10⁵¹

الذهبي. سير أعلام النبلاء. 609/10⁵²

وممن ضعفه النسائي ولم يوثقه بسبب كثرة تفردّه عن الأئمة المعروفين فصار بذلك - عنده في حدّ من لا يحتج به.⁵³ كما عيب عليه روايته للمناكير. قال أبو سعيد بن يونس: "كان يفهم الحديث وروى أحاديث مناكير عن الثقات".⁵⁴ وأكثر مروياته المنكرة في الملاحم كما ذكره مسلمة بن القاسم.⁵⁵

وعده الدارقطني إماما في السنة إلا أنه ذكر أنه "كثير الوهم"⁵⁶ وبنحوه شهد له النسائي. قال أبو علي النيسابوري: "سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن".⁵⁷

وقد تتبع ابن عدي أحاديثه التي أنكرت عليه في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال مبينا ما فيها من ضعف ومخالفة ثم بين قيمة الرجل العلمية ومكانته بقوله: "وقد أثنى عليه قوم وضعفه قوم، وكان ممن يتصلّب في السنّة، ومات في محنة القرآن في الحبس، وعامة ما أنكر عليه هو هذا الذي ذكرته، وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيماً".⁵⁸ ويقول الذهبي عنه منصفاً له: "له غلطات ومناكير مغمورة في كثرة ما روى"⁵⁹، وذهب المعلي اليماني إلى أن الأمر ربما اشتبه عليه لكثرة روايته عن الثقات وعن الضعفاء واعتماده على حفظه، فتختلط عليه أسانيد هؤلاء وهؤلاء.⁶⁰

مما تقدم من الأقوال تظهر عدالة نعيم بن حماد وديانته ودفاعه عن السنة، وتبرز شهادة أئمة الفن المعتدلين رغم الخطأ والوهم الذين كان يقع فيهما، أما من وصفه بالوضع فقد غالى وتعصّب كما بيّن ذلك ابن حجر في تلخيصه لأقوالهم فيه وختم بيانه بقوله: "صدوق يخطئ كثيرا".⁶¹

وبجمع أقوال العلماء في نعيم بن حماد وعدالته ونقدتهم لمروياته وبيان ما فيها من وهم ونكارة يتبين أن حديثه لا يرقى به لدرجة الحديث الصحيح ولا ينحدر به لدرجة الحديث الضعيف، بل هو وسط بين المرتبتين؛ لذا يمكن اعتبار أحاديثه في مرتبة الحديث الحسن لذاته⁶²

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 411/10.⁵³

يوسف بن عبد الرحمن المزي. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. ت: بشار معروف. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1400هـ/1980م. 480/29.⁵⁴

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 412/10.⁵⁵

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 412/10.⁵⁶

ابن حجر. تهذيب التهذيب. 411/10.⁵⁷

عبد الله بن عدي الجرجاني. الكامل في ضعفاء الرجال. ت: جماعة بإشراف الناشر. ط1. دمشق. دار الفكر. 1404هـ/1984م. 256/8.⁵⁸

محمد بن أحمد الذهبي. العبر في خبر من غير. ت: محمد زغلول. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1405هـ/1985م. 318/1.⁵⁹

عبد الرحمن بن يعي المعلي. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. ت: الألباني وأخران. ط2. بيروت، المكتب الإسلامي. 1406هـ/⁶⁰

1986م. ص33.

ابن حجر. مقدمة الفتوح. ص447. التنكيل للمعلي. ص731.⁶¹

وليد بن حسن العاني. منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها. ط1. العبدلي. دار النفائس. 1420هـ/1999م. ص9 وما بعدها.⁶²

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه "الفتن" وقيمة الكتاب العلمية: منهج المؤلف في كتابه:

لم يتفرد نعيم بالتأليف في الفتن والملاحم وما يقع للناس ، فقد صنف كثير من العلماء والحفاظ في هذا الباب منهم: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني-ت275-كتاب الملاحم وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني-ت340-كتاب المهدي والإمام البيهقي-ت458-كتاب البعث والنشور وعبد الله محمد بن أحمد القرطبي-ت671-كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وغيرهم... إلا أن له السبق في هذا الفن، ويبقى كتابه الأكثر جمعا واستيعابا في بابهِ ومرجعا فريدا على ما فيه من اختلالات واعتلالات.

وقد جمع المصنّف في كتابه ما يربو عن ألفي نصّ جعلها في أجزاء عشرة ضمت أحاديث الفتن وعلامات الساعة، وأغلب مروياته هذه آثار موقوفة ومقطوعة بينما يقلّ فيه المرفوع إلى رسول الله ﷺ⁶³.

وقد انتهج المؤلف طريقة واحدة في عرض مادة كتابه معتمدا على سرد الرواية بصيغة التحديث "حدثنا وحديثي" ونادرا ما يستعمل الإخبار "أخبرنا وأخبرني" في صدارة الخبر المروي، وهما صيغتان متغايرتان عند طائفة من العلماء كمسلم وغيره كما بينه ابن الأثير في جامع الأصول: "عن عبد الله بن وهب قال: ما قلت حدثنا فهو ما سمعت مع الناس وما قلت حدثني فهو ما سمعت وحدي وما قلت أخبرنا فهو ما قرئ على العالم وأنا شاهد وما قلت أخبرني فهو ما قرأت على العالم . وكذلك قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري"⁶⁴.

والمصنف يورد الرواية غير ممّخص لها ولا ناقد إلا ما ندر منه من تعليق أو حكم على راو⁶⁵، وكذلك يغيب الشرح والتعليق على الخبر.

وفي سرده لمروياته نجده مسهبا في مواضع ومقتضبا في أخرى. فمثلا نراه يسهب كثيرا فيما يختص بالسفيانى والمهدي وخروج الرايات، بينما نراه يقتضب الحديث عن الدخان وطلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور والدابة والعلامات الصغرى للساعة⁶⁶.

⁶³ موسى اسماعيل البسيط . الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن. ط1. غزة. مكتبة الجامعة. 1416هـ/1996م. والكتاب موجود على

النت بصيغة pdf. ص45

⁶⁴ المبارك بن محمد بن الأثير جامع الأصول في أحاديث الرسول. ت: عبد القادر الأرناؤوط. ط1. دمشق. مكتبة دار البيان. 1389هـ/1969م. 78/1

⁶⁵ موسى البسيط . الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن. ص71.

⁶⁶ نعيم بن حماد المروزي. الفتن. ت: مجدي بن منصور الشورى. ط1. بيروت دار الكتب العلمية. 1418هـ/1997م. 7/1

ومن منهجه أيضا أنه يورد النص ثم يعقبه بتعليق الخبر على أحد الرواة ليفصّل مضمون الخبر أو يضيف خبرا جديدا كما في الخبر الذي رواه عن الحكم بن نافع عن جراح عن أرطاة بن المنذر قال: يجيء البربر حتى ينزلوا من فلسطين والأردن فتسير إليهم جموع المشرق والشام... فذكر الخبر بطوله ثم قال: قال أرطاة: ويكون بين أهل المغرب وأهل المغرب بقنطرة الفسطاط سبعة أيام.⁶⁷ كما أنه إذا اجتمع لديه للحديث الواحد أكثر من إسناد فإنه يورد الإسناد الآخر إلى الصحابة حتى ينهيه بقوله: مثله أو نحوه مكتفيا بإيراد المتن في المرة الأولى.⁶⁸

وأحاديث الكتاب في ميزان النقد أكثرها الضعيف والموضوع ومرويات أهل الكتاب، والقليل منها مقبول وصالح للاحتجاج مما سبق بسطه يتضح أن المؤلف عمل على جمع الأحاديث والأخبار التي تخص الفتن في مصنف واحد، فجاء غزير المادة العلمية في بابه شاملا للفتن- ما كان منها وما سيكون- كاشفا عن سعة علم مؤلفه وعنايته بالسنة، إلا أنه أغفل جانب التحقيق والتمحيص في هذه المرويات وإعمال قواعد التحديث وضوابط الرواية مما دفع أئمة الفن إلى تتبع مروياته سنداً ومتناً باستعمال مقاييس المحدثين للحكم عليها وتمييز المقبول من المردود.

قيمة الكتاب العلمية:

يعدّ الحافظ نعيم بن حماد أول من جمع المسند وصنف فيه، وكتابه الفتن شاهد على غزارة علمه وسعة حفظه، ولئن انتقد بسبب مرويات هذا الكتاب التي لم يتبع فيها منهج المحدثين في تمحيص الرواية وغرلة الأسانيد والمتون فقد حاز كتابه هذا السبق في التصنيف في بابه وعدّ أصلا لما ألّف بعده، وقد أقرّ العلماء لنعيم بذلك واعترفوا بسبقه، أما العوام فقد جعلوا منه مرجعا يبحثون في ثناياه عن أصل كل فتنة ألمّت بهم ونازلة حلّت بهم دون التفات إلى ما يصح منه وما لا يصح وتطايرت به الأخبار.

وكتاب الفتن من منظور علم الحديث وقواعده مستودع للحديث الضعيف لما فيه من انقطاع وإرسال وإعضال وغير ذلك. بل ووضّع، وفيه الكثير من روايات أهل الكتاب وروايات المجاهولين من الرجال. وبالنظر في مروياته نجد أن المرفوع أقلها مقارنة بالمقطوع والموقوف الذين أخذوا مساحة واسعة من الكتاب، وهذا بتتبع تخريجات المحققين لهذه النصوص. وفي المرفوع نفسه بلغت نسبة الصحيح والحسن أربعين بالمئة وما تبقى منه فهو الضعيف والموضوع. أما آثار الصحابة والتابعين الواردة فيه ففيها علل كثيرة من كثرة الانقطاع والبلاغ والإرسال في أسانيدھا من جهة وكثرة الرواة الضعفاء والمتروكين والوضاعين من جهة أخرى.⁶⁹

⁶⁷ نعيم بن حماد. الفتن. ت: الشوري. ص 163

⁶⁸ موسى البسيط. الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن. ص 72

⁶⁹ موسى البسيط. الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن. ص 43

إن عدم اعتماد المصنف على اشتراط الصحة فيما يخرج في كتابه من روايات قد أنقص من قيمة الكتاب وحتّى رواياته عن درجة القبول والتسليم، وهو الأمر الذي استنهض همم العلماء للتحري في أحاديثه وتتبعها وبيان ما فيها من وهم ونكارة وتفرد غير منتقسين من إمامة مصنفه وديانته ولا منكرين أسبقية هذا السفر وجودا وشموليته لما يتعلق بالفتن حالا وزمانا ومكانا ، ولعل الإمام الذهبي قد لخص هذا بقوله عنه : "لا يجوز لأحد أن يحتج به وقد صنف كتاب الفتن فأثى فيه بعجائب ومناكير".⁷⁰

وخلاصة القول في كاتب نعيم بن حماد من كل ما تقدم مما حواه الكتاب وأبانه النقد أنه كتاب يعنى به أهل التخصص في دراسة الأسانيد وغريلة الروايات لتمييز المقبول من المردود، وللحكم على الآثار الواردة فيه وفق المنهج العلمي لرفع اللبس والتدليس الذي تتعمده الكتب التجارية-بالدرجة الأولى-المروجة لكثير من مروياته والمنزلة لأحاديثه وآثاره على ما يقع للناس من أحداث، مع الجزم بنسبة ذلك للرسول ﷺ في مغالطة مقصودة ومراد من وراءها توسيع رقعة الفتنة وإغراق العامة في متاهة وتجهيل، أو دفاع عن عقائد مضللة وتوجّهات متعصّب لها.

المبحث الثاني: دلالات الفتن الوارد ذكرها في كتاب أبي نعيم:

عنيت الدراسات الأكاديمية والبحوث العلمية بموضوع الفتن جمعا ودراسة لأهميته وملازمته للإنسان في كل العصور، ذلك أن ابتلاء سنة ربانية وامتحان إلهي مستمرين يميز الله بهما الخبيث من الطيب، معتمدة في ذلك على نصوص الكتاب والسنة المليئة بالآيات والأحاديث التي تدلل على المصطلح وما يتعلق به.

وكتاب الحافظ المروزي اشتمل على أنواع كثيرة من الفتن الكبرى منها والصغرى، أدرجها المصنف ضمن تراجم وضعها، وتحت كل ترجمة ذكر عددا من النصوص ذات الصلة. هذه النصوص تسرد جملة الفتن التي بدأت بموت النبي ﷺ ثم مقتل خلفائه رضي الله عنهم أين فتح بابها الأكبر إذّاك ولم يسدّ .

هذه الأحداث تتبع المصنف التسلسل الزمني لها وما يطرأ فيها من تغيير على حياة المسلمين وبعد عن جادة الصواب واختلاط الأمور عليهم، ولا نجاة لأحد إلا بالتزام نصوص الوحيين والعضّ عليها. ومع اتساع رقعة الإسلام تتسع دائرة هذه الفتن لتدخل أقطاره وأمصاره وينشط دعائها وأئمتها لإيقادها في المشرق والمغرب وتستشري في كل مكان حتى تأتي أشرط الساعة الكبرى موزنة بنهاية الاختبار وبداية الحساب.

والبحث يحاول تصنيف هذه الفتن على كثرة نصوصها وتداخلها حسب الدلالة وترتيب المصنف لها، مع ذكر أمثلة وتناولها بالشرح والبيان.

⁷⁰الذهبي. سير أعلام النبلاء. 609/10

المطلب الأول : الفتن التي تدل على الابتلاء في النفس والأهل والمال:

الله عز وجل جعل لكل شيء ميزانا لئلا يخرج من دوحة الاعتدال إلى مراتع الإفراط أو التفريط فيشقى به صاحبه بدلا من أن ينعم، ويضلّ عن طريق المنعم بدلا من أن يهتدي. والإنسان محبّ لنفسه وأهله وماله بالغريزة والفطرة مستميت في الدفاع عنها، يبذل كل ما يقدر عليه ليوفر لها الأفضل والأكمل. وهذه الغريزة ما لم تهذب وتضبط في إطار شرعي ستقلب وبالا عليه، وستجره إلى الاعتداء والطغيان وتدخله دائرة التقصير والعصيان. والعبد يفتن في نفسه... في دينه وإيمانه وبدنه وعافيته، وقد جاء تصديق هذا في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ.

فمما يصيبه في دينه ما دل عليه الحديث الذي ذكره الحافظ ابن نعيم بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "إن بعدكم فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا".⁷¹ وهذا التشبيه النبوي للفتن بقطع الليل المظلم للدلالة على إخفاءها لحقيقة الأمر وطريق الحق الواضح وتغييب ذلك كله في ظلمات الباطل ومذاهبه الشتى، حتى تخرجه من دائرة الإيمان الأكمل وتنقص من ديانتته وصلاحه وتقواه وتجعله يدور يلتف حول المتع والملذات والشهوات ويتلبس بالشبهات المضللة.

ومما يصيبه في بدنه قول الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁷².

قال البغوي: "وأنزل الله تعالى في شأن كعب: "لَتُبْلَوْنَ" لتخبرن اللام للتأكيد. وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم "فِي أَمْوَالِكُمْ" بالجوائح والعاهات والخسران "وَأَنْفُسِكُمْ" بالأمراض وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر"⁷³. والابتلاء في البدن بنقص العافية والمصائب دواؤه الصبر والاحتساب والرضى عن الله بما قدر وقضى سبحانه وتعالى.

⁷¹ مرفوع حكما ضعيف الإسناد لجهالة راو فيه، لكنه صحيح المعنى فقد رواه مرفوعا مسلم والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواية مسلم: "بَادَرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". مسلم بن الحجاج القشيري. الجامع الصحيح، ت: جماعة ط. 1. بيروت. دار الجيل. 1334 هـ. كتاب الفتن. باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن. رقم 328. 76/1.

⁷² آل عمران، 186.

⁷³ الحسين بن مسعود البغوي. معالم التنزيل. ت: محمد عبد الله النمر وأخران. الرياض. دار طيبة. 1409 هـ. 146/2.

ومن الفتن ما يتعلق بالأهل والمال والولد لأن النفس مجبولة على حبهم شغوفة بهم، لذلك جاء التحذير الإلهي من الاستغراق في السعي وراءهم ونسيان الغاية التي من أجلها كان الخلق، والتحذير أيضاً من التقصير والتفريط في القيام بالواجب نحوهم ورعايتهم حق الرعاية كما أمر الله وألزم.

ومن صور تحذير القرآن الكريم من فتنة المال والولد قول الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁷⁴ والآية الكريمة نزلت المال والولد منزلة الفتنة بحد ذاتها لأنها تجد مدخلها من بابيها وفي هذا المعنى يقول ابن عاشور: "وحي في الإخبار عن كون الأموال والأولاد فتنة بطريق القصر قصراً ادعائياً لقصد المبالغة في إثبات أنهم فتنة، وجعل نفس "الأموال والأولاد" فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكان وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة"⁷⁵.

أورد المصنف في كتابه بسنده أن عمر بن الخطاب قال لأصحاب رسول الله ﷺ: "أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: فقلت: أنا سمعته يقول: فتنة الرجل في أهله وماله وجاره يكفر ذلك الصوم والصلاة والصدقة..."⁷⁶. قال ابن حجر في بيان الفتنة المقصودة هنا: "والمراد بالفتنة ما يعرض للإنسان مع من ذكر من البشر أو الإلتهاء بهم أو أن يأتي لأجلهم بما لا يحل له أو يخل بما يجب عليه"⁷⁷. وقال العيني عن ابن بطال: "فتنة الرجل في أهله أن يأتي من أجلهم ما لا يحل له من القول أو العمل مما لم يبلغ كبيرة، وقال المهلب: يريد ما يعرض له معهن من شر أو حزن أو شبهة. قوله وماله فتنة الرجل في ماله أن يأخذه من غير مأخذه ويصرفه في غير مصرفه أو التفريط بما يلزمه من حقوق المال فتكثر عليه المحاسبة. قوله وولده فتنة الرجل في ولده فرط محبتهم وشغله بهم عن كثير من الخير أو التوغل في الاكتساب من أجلهم من غير اكتراث من أن يكون من حلال أو حرام..." قال تعالى: "وجعلنا بعضهم لبعض فتنة"⁷⁸.

والرسول ﷺ في هذا الحديث يجلي للمسلم أبواب تسلل الفتنة إليه وهي فتن صغرى والمتأمل لها يجدها لصيقة به ملازمة له تعرض له كل وقت وحين، وهذه الفتنة واقعة لا يكاد يسلم منها أحد أبداً لما يجري على العبد من غلبة الطبع والسهو والنسيان، لذلك وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى تكفيرها ببعض العبادات والصالحات.

⁷⁴ الأنفال. 28

⁷⁵ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. تونس. الدار التونسية. 1984م. 321/9.

⁷⁶ الحديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الصوم. باب الصوم كفارة. رقم 1796. 270/2 ومسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب في الفتنة التي تموج كموج البحر. رقم 6683. 173/8

⁷⁷ ابن حجر. فتح الباري. 605/6

⁷⁸ محمود بن أحمد العيني. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ت: عبد الله محمود عمر. بيروت. دار الكتب العلمية 1421هـ 313/7

ومما تحسن الإشارة إليه أنه على العاقل أن يدرك أن السقوط في الفتنة ليس ضرورة حتمية لأن العبد قد يفتن فتزل قدمه ويكثر غلظه وتسوء علاقته بربه وبمن حوله⁷⁹ ، وقد ينجو- بفضل الله ورحمته- من مثاليها ويمحص إيمانه وتظهر قوة صلته بخالقه وإتباعه لأمره ونهيه وحينئذ تكون الفتنة أصابته لترفع من درجته وتعلي قدره عند خالقه. يقول الشعراوي: "فالفتنة ليست مذمومة في ذاتها؛ لأن معناها اختبار وامتحان، وقد يمر الإنسان بالفتنة وينجح كأن يكون عنده الأموال والأولاد، وهم فتنة بالفعل فلا يغيره المال؛ بل إنه استعمله في الخير، والأولاد لم يصيبوه بالغرور بل علمهم حمل منهج الله وجعلهم ينشأون على النماذج السلوكية في الدين، لذلك فساعة يسمع الإنسان أي أمر فيه فتنة فلا يظن أنها أمر سيء بل عليه أن يتذكر أن الفتنة هي اختبار وابتلاء وامتحان، وعلى الإنسان أن ينجح مع هذه الفتنة؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعف عند مواجهتها"⁸⁰.

المطلب الثاني: الفتن التي تدل على الأمارات الصغرى للساعة:

من الغيبات التي جاءت في الكتاب والسنة قيام الساعة. وللساعة أمارات وأشراط تدل على قربها ودنوها وهذه الأمارات ثابتة بالكتاب والسنة. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ^طفَظَّ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۖ﴾⁸¹ واستعراض أمارات الساعة الصغرى منها والكبرى فيه تذكير للناسي وتنبيه للغافل وإيقاظ للهمم للاستعداد لما هو آت من الحساب والجزاء، لذلك كان الرسول الكريم شديد الحرص على التعريف بها وبيانها للناس، وقد حفظ الصحابة عنه مقالته ووعوها وأدوها لمن عاصرهم من التابعين وسار على هذا النهج تابعوهم وتواترت أخبارها زمنا بعد زمن. والمصنف رحمه الله أورد أخبار الساعة التي جمعها محاولا ترتيبها ترتيبا زمنيا من حيث الوقوع غير متبع نسقا واحدا، إذ يسهب في ذكر نصوص تتعلق بفتنة ويقتضب فيما تعلق بأخرى حسب ما اجتمع لديه من روايات. وكذلك لم يشر إلى أنواع هذه الأشراط لأن التقسيم إلى فتن "صغرى وكبرى" مصطلح لم يكن معروفا في زمانه بل جرى العمل على جمع المادة المتعلقة بالفتن والملاحم في كتاب واحد ليسهل تناولها، ثم بعد ذلك صنف العلماء معتمدين على هذا التقسيم تسهيلا وتيسيرا⁸².

⁷⁹ تفرد المصنف في هذا المعنى برواية حديث مرفوع ضعيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "ستكون فتن في أمتي حتى يفارق الرجل فيها أباه وأخاه". "نعيم بن حماد المروزي. الفتن: عبد الله السيبي. ط1. المنصورة: دار لؤلؤة. دون سنة نشر. 30/1.

⁸⁰ محمد متولي الشعراوي. تفسير الشعراوي. ت: أحمد عمر هاشم. القاهرة. أخبار اليوم. 1991م. 1142/1

⁸¹ محمد. 18.

⁸² ولعلهم استندوا في هذا التقسيم إلى حديث حذيفة عند مسلم: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يُعَدُّ الْفِتْنُ « مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنُ يَدْرَنُ شَيْئًا وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحُ الصَّيْفِ مِنْهَا صِبَاغٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ » صحيح مسلم. كتاب الفتن. باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة. رقم 172/8.

وأشراط الساعة الصغرى علامات ظهرت ولا تزال تظهر متفرقة غير متتالية ولا متتابعة على مرّ الزمان تذكر بالساعة ودنوها، وهذه الفتن عديدة متباعدة الزمان تحدث بين الزمن والآخر وقد تجتمع أكثر من علامة في زمن واحد. وقد وقع من هذه العلامات شيء في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كبعثته ﷺ وانشقاق القمر، وتوالى وقعها بعد ذلك ولا يزال.

ومما ساقه المصنف رحمه الله في بدايات كتابه من هذه الأمارات حديثاً يجمع ستّ أمارات بينات للساعة، جاء ذكرها في حديث الصحابي عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اعدد يا عوف ستّاً بين يدي الساعة أولهن موتي، فاستبكيك حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني، ثم قال: قل إحدى والثانية فتح بيت المقدس، ثم قال: قل اثنتين والثالثة موتان يكون في أمتي كقعاص الغنم"⁸³، قل ثلاثاً والرابعة فتنة تكون في أمتي قال: وعظّمها⁸⁴، قل أربعاً والخامسة يفيض المال فيكم حتى يعطى الرجل المائة الدينار فيتسخطها⁸⁵، قل خمساً والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر⁸⁶ ثم يسرون إليكم فيقاتلونكم والمسلمون يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق"⁸⁷ والفتن الواردة في حديث المصنف جاءت في روايات أخرى ببعض الزيادة أو النقصان أو التقديم والتأخير⁸⁸، لأن الرسول قد يذكر في مجلس فتنة ويذكر في غيره غيرها، وقد يسمي منها في موضع غير ما يسميه في آخر حسب ما يقتضيه البيان. ومجموعها يُعرف بجمع النصوص وتتبعها.

والنص الذي أورده المصنف فيه أمارات متفق على أنها من العلامات الصغرى للساعة إلا

أن الاختلاف واقع هل حدثت كلها أم ليس بعد؟

⁸³ القعاص مرض يصيب الدواب فتسيل أنوفها منه فتموت به. قاله ابن حجر في الفتح. 278/6

⁸⁴ طاعون عمواس. قاله ابن حجر في الفتح. 278/6

⁸⁵ قيل حدثت في زمن عثمان بن عفان. قاله ابن حجر في الفتح. 278/6

⁸⁶ بنو الأصفر هم الروم. قاله ابن حجر في الفتح. 278/6

⁸⁷ المروزي. الفتن. تحقيق السيبي. رقم 70/1. 58/1 والحدث أخرجه البخاري في صحيحه. أبواب الجزية والمواذعة. باب ما يحذر من الغدر. رقم 3005/3. 1159/3 بلفظ: "اعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخناً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً". ورواه ابن ماجه في سننه. محمد بن يزيد بن ماجه. سنن ابن ماجه. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. بيروت. دار الفكر. 1424هـ/2003م. كتاب الفتن. باب أشراط الساعة. رقم 4042/2. 1341/2. ورواه أحمد في مسنده. أحمد بن عبد الله الشيباني. مسند الإمام أحمد. ت: شعيب الأرنؤوط. وآخرون. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1421هـ/2001م. باقي مسند الأنصار. حديث عوف بن مالك الأشجعي. رقم 23985/39. 411/3 قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

⁸⁸ كما في رواية البخاري أعلاه، وما ذكره المصنف في كتابه تحت رقم 72، 73 وما تلاها من الآثار رقم 74، 75. أنظر ص 59 وما بعدها بتحقيق البسيط.

ومن المتفق عليه منها موت النبي ﷺ وبعضه حديث: "النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد"⁸⁹، وفتح بيت المقدس الذي كان فتحاً ممجداً لدى المسلمين، وكذلك طاعون عمواس زمن الخليفة عثمان الذي استشهد فيه كثير من المسلمين، ثم الفتنة الكبرى التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعة صفين.

ومما اختلف فيه المال المستفيض والاقتتال مع الروم في دمشق، إذ يرى فريق من العلماء أنها حدثت ويرى آخر أنه ليس بعد.

ومن الفتن التي أوردتها المصنف ولم يكثر فيها ما حدث زمن الصحابة، إذ بعد وفاة الرسول ﷺ فتح باب التأويل في ما استجدّ على الناس ونصب سوق الاجتهاد بين أهل الرأي والمشورة، وتحكم الخليفتان أبو بكر وعمر ﷺ في زمام الأمور ولم تنفلت منهما المقاليد رغم محاولات المغرضين والحاquدين وردّة المرتدين، إلا أن هذا الاستقرار تزعزع وحال الدولة تضعضع بمقتل عمر بن الخطاب ذلكم الدرع المتين ﷺ وأرضاه. وهذا مما أخبر عنه الرسول الكريم واقعاً لا ريب فيه تنبهاً على ما هو آت من الفتن سيلاً جارفاً لا ينقطع إلى قيام الساعة وفناء الناس. روى المصنف في كتابه أن حذيفة بن اليمان قال: "كنا جلوساً عند عمر ﷺ فقال أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله. قال: إنك عليه - أو عليها - لجريء. قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذا لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة إني حدثته بحديث ليس بالأعاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر"⁹⁰.

⁸⁹ مسلم. صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه. رقم 6629. 183/7 وأحمد. المسند. رقم 19566.

335/32

⁹⁰ البخاري. صحيح البخاري. كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلاة كفارة رقم 502. 196/1. ومسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في الفتنة التي تموج كموج البحر. رقم 7450. 173/8. وسنن النسائي. أحمد بن شعيب النسائي. السنن الكبرى. شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1421هـ/2001م. كتاب الصلاة. باب تكفير الصلاة. رقم 324. 207/1.

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون مكانة عمر من الدين ورمزيته في الإسلام بما كان يعنيه لهم من القوة والسؤدد والعزة، فلما مات فتح باب الجرأة على حدود الله وشرعه واستبيحت المحرمات والمنهيات وقويت شوكة الباطل والمبطلين. ذكر ابن سعد في الطبقات عن أم أيمن قالت- يوم مقتله:- "اليوم وهى الإسلام"⁹¹، وعن زيد بن وهب قال: "أتينا ابن مسعود فذكر عمر فبكى حتى ابتلّ الحصى من دموعه وقال: إن كان عمر حصنا حصينا للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام"⁹².

مات عمر وأوقدت نيران الحقد والعداء للإسلام وأهله بأيدي من كانوا من عمر خائفين، وأخذوا يستقوون ويعدون العدة لضرب هذا الدين وطمس نوره، وكانت لهم صولات وجولات قدرا مقدورا. فقد قتل الخليفان الراشدان عثمان وعليّ لتنتهي الخلافة وينشأ الملك المتوارث.

ثم نجد فتنة اقتتال الصحابة فيما بينهم في أشد ما يكون من ألم ووجع ألم بالمسلمين، وكان من قدر الله أن تلتقي الطائفتان في موقعة صفين وكل طائفة تظن أن الحق معها وأنها تنتصر لله وللدين بعيدا عن المطامع والأحقاد، وانقضت المعركة وانفض القتال بين الفريقين وبقيت أخوة الإسلام. وفي هذا المعنى النبيل روى المصنف بسنده عن علي رضي الله عنه قال: "إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى: "إخوانا على سرر متقابلين"⁹³.

بعد الخلافة الراشدة ظهرت الملكية كنظام حكم في الإسلام، وهذا النظام معلوم ما فيه من التنافر والاختتال لأجل الولاية أو لتثبيت الملك قهرا وعنوة. وقد أورد المصنف في هذا عن أبي عبيدة بن الجراح أن رسول الله ﷺ قال: "أول هذه الأمة نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة، ثم ملكا عضوضا ثم يصير جبرية وعبثا"⁹⁴، وقد كان هذا في حكم بني أمية وبني العباس ومن تلاهم، وأريق دماء كثيرة للمسلمين إرضاء لسياسة غير شرعية لا يأبه مشرعها بشيء سوى تثبيت أركان ملكه وتعزيز حكمه. والحال لا تزال كذلك من الظلم والتعدي على الأنفس والأموال وانتهاك الحرمات والمحرمات، ورحى الاقتتال والتناحر بين المسلمين تدور وتطحن بين دفتيها بني الإسلام لا يدري القاتل فيم قاتل ولا المقتول فيم قُتل؟. هذا من جهة ومن جهة أخرى تكالب الأمم وتحالفهم ضد الإسلام يستبيحون بيضته ويفتنون أتباعه.

⁹¹ ابن سعد. الطبقات 281/3

⁹² ابن سعد. الطبقات. 283/2

⁹³ عبد الله بن محمد بن أبي شعبة. المصنف في الأحاديث والآثار. ت:كمال الحوت. ط1. الرياض. مكتبة الرشد. 1409هـ. كتاب الجمل. في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم رقم 37795. 539/7. وروى أحمد نحوه في مسنده في فضائل الصحابة رقم 1298. 747/2. وأورده الحافظ المروزي في الفتن. ت: السبسي. 127/1

⁹⁴ المروزي. الفتن. تحقيق السبسي. 144/1. أخرجه أحمد في مسنده. مسند الكوفيين. حديث النعمان بن بشير رقم 18430. 273/4. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

وتتابع إيراد المصنّف رحمه الله تعالى للفتن التي حلت بالمسلمين بعد دولتي بني أمية وبني العباس من غلبة سفلة الناس وخروج البربر وأهل المغرب. واستفاض كثيرا في أحاديث السفينيين والرايات وكلّها روايات مرسلة لا تصح ولا ينهض بها استدلال.

وفتنة المهدي من العلامات الصغرى للساعة، وخروجه ثابت بالسنة من أحاديث عديدة ذهب بعض العلماء إلى أنها بلغت حدّ التواتر⁹⁵ بين الصحيح والحسن والضعيف المنجبر.

والمهدي من آل بيت النبوة من نسل الحسن بن علي عليه السلام، ويشهد له الحديث الذي أورده المصنّف عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: "المُهْدِيُّ مَيِّ أَجْلَى الْجَبَّةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْزًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ"⁹⁶.

وقد ذكر المصنّف في باب المهدي أحاديث كثيرة لم يصح مرفوعا منها إلا أحاد مما تعلق بخصب زمانه وعدله واستفاضة المال في هذا الزمان. أورد عن أبي سعيد عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم قال: "يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عدد"⁹⁷، وفي موضع آخر عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "يكون في أمّتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا"⁹⁸.

كما أورد المصنّف نصوصا عن خروج الحبشة⁹⁹ وهدم الكعبة من قبل رجل منهم في آخر الزمان، وكذا عن فتنة الترك¹⁰⁰ وقتالهم للمسلمين بأسانيد أغلبها لا تصلح للاحتجاج. وهذه الفتن من قبيل الاقتتال والتناحر الذي يكون بين أهل الحق وأهل الباطل بغيا من هؤلاء الآخر وعدوانا ونقمة من الإسلام وأهله، وما تعريف الرسول الكريم لها إلا غاية النصح والتحذير للمسلمين منهم ومن غوائلهم.

⁹⁵ قال به السفاريني في لوامع الأنوار الهية. 84/2 وصادق حسن خان في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة. 113/112 وما نقله ابن القيم في المنار المنيف وأقرّه عن الحافظ الأبري. ص 142

⁹⁶ أخرجه أبو داود. سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. ط1. بيروت. دار الكتاب العربي. دون سنة نشر. كتاب المهدي. رقم 4278. 174/4. قال الألباني: صحيح. م. حمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ط1. الرياض. مكتبة المعارف 1415 هـ. رقم 1529. 38/4.

⁹⁷ المروزي. الفتن. ت: السبسي. 616/1 والحديث رواه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه. رقم 7502. 185/8. ورواه أحمد في مسنده. مسند المكثرين من الصحابة. مسند جابر بن عبد الله. رقم. 14446. 317/3. المروزي. الفتن. ت: السبسي 629/1

⁹⁹ كتاب الفتن. ت: السبسي. 469/2. ومن الأحاديث التي أوردها المصنّف ما صح عند مسلم في صحيحه: "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة". كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون. 7489. 183/8.

¹⁰⁰ كتاب الفتن. ت: السبسي. ج2. ص469 والحديث رواه البخاري في صحيحه. كتاب الجهاد والسير. باب قتال الترك. رقم 2770. 3 / 1070 ورواه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه. رقم. 7494. 184/8.

هذا أبرز ما ذكره الحافظ المروزي من الأشرطة الصغرى للساعة. وبالنظر في كتب العلماء الذين ألقوا في الفتن والملاحم نجدهم قد عدّوا علامات أخرى لم يذكرها المصنف في كتابه كما في كتابي: "السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها" لأبي عمرو الداني و"النهاية في الفتن والملاحم" لأبي الفدا بن كثير وما جاء في الصحيحين وباقي كتب الحديث.

المطلب الثالث: الفتن التي تدل على الأمارات الكبرى للساعة:

الله عز وجل يختار من الآيات ما يشاء ويقدر من أزمته وقوعها ما يشاء حكمة منه وعلماء. والمسلم لا يملك سوى التسليم بما ثبت عن الله ورسوله من الغيبات التي لا يدركها عقله ولا تتسع لها مداركه. والعلامات الكبرى للساعة لم يظهر منها بعد شيء خلافا للصغرى، وهي علامات غير عادية ولا مألوفة للبشر، ، مخيفة مرعبة، ، تتابع بشكل سريع لتفني الدنيا وتقوم قيامة الناس. وفي متابعتها يقول الرسول ﷺ: "خروج الآيات بعضها على إثر بعض يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام"¹⁰¹. وفي الحديث شبه تنالها بانفراط حبات عقد ووقوعها الواحدة تلو أخرى. وهي علامات بينات مذهلة جمعها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ماذا تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"¹⁰².

والمصنف رحمه الله تعالى أورد في كتابه هذه الأمارات وأسهب في الحديث عنها بعد حديثه عن المهدي وما يكون بعده. وترتيب الأشرطة الكبرى للساعة غير معلوم ولا مجزوم به لذلك نجد في تصانيف من ألف في فتها تقديمًا وتأخيرًا حسب ما بدا لكل مصنف من اجتهاد.

¹⁰¹ أخرجه ابن حبان في صحيحه. محمد بن حبان البستي. صحيح ابن حبان. ت: شعيب الأناؤوط. ط. 2. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1414هـ/ 1993م. كتاب التاريخ. باب إخباره ﷺ عما سيكون في أمته من الفتن والحوادث. رقم 6833. 248/15. والطبراني في المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الأوسط. ت: طارق الحسيني. القاهرة. دار الحرمين. 1415هـ. رقم 4431. 258/1 والألباني في الصحيحة. رقم 3210. 217/8، وقال بعد أن تكلم عن رجاله وأورد له شواهد: وبالجملته فالحديث بهذه الشواهد صحيح بلا ريب.

¹⁰² مسلم في صحيحه. كتاب الفتن. باب الآيات التي تكون قبل الساعة. رقم 7467. 178/8 وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب الملاحم. باب أمارات الساعة. رقم 4313. 192/4. والترمذي في سننه. محمد بن عيسى الترمذي. سنن الترمذي. ت: محمد شاكر وآخرون. ط. 2. حلب. مكتبة الحلبي. 1395هـ/ 1975م. كتاب الفتن. باب الخسف. رقم 2183. 477/4. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والحافظ المروزي بدأ بفتنة الدجال فذكر عظم أمره وبين صفته¹⁰³ ومخرجه¹⁰⁴. وفتنة الدجال فتنة دهماء وهي أكدة الوقوع في هذه الأمة ولا يسلم منها إلا من عصمه الله تعالى، لذلك كان من منهج الرسول الكريم المداومة على ذكرها والتحذير منها وبيان تفاصيلها. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال يحذرناه، وكان من قوله: "يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة في الأرض أعظم من فتنة الدجال وإن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا حذر أمته منه وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم. وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيح كل مسلم وإن يخرج بعدي فكل امرئ حجيح نفسه والله خليفتي على كل مسلم، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ بفواتيح سورة الكهف"¹⁰⁵. ولعل العلاقة بين سورة الكهف وفتنة المسيح الدجال تكمن في كون السورة تتضمن الفتن الأربع الكبرى: فتنة الدين والصبر، فتنة المال والنعمة، فتنة السلطة وفتنة العلم والتواضع، ومحور البحث في هذه الفتن هو تصحيح العقيدة والحصانة من هذه الفتن. وفتنة الدجال لا تخرج في عمومها عن هذه الفتن ولن تكون أعجب ولا أغرب من القصص التي تضمّنتها السورة، وكذلك ما للسورة من مزية وخصوصية نورانية¹⁰⁶ تعصم من الدجال كما تعصم آية الكرسي من الشيطان¹⁰⁷.

¹⁰³ رواه أبو نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 272. ص 176 والحديث أخرجه مسلم في الصحيح. كتاب الفتن. باب ذكر الدجال وصفته وما بعده. رقم 7456. 194/8.

¹⁰⁴ أورده أبو نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 264. ص 178 والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم. رقم 4077. 1359/2. قال الألباني معلقا: ضعيف. وأخرجه الحاكم في مستدركه. كتاب الفتن والملاحم. رقم 8317. 474/4. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

¹⁰⁵ أورده أبو نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 251. ص 173 والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم و. رقم 4077. 1359/2. قال الألباني ضعيف. وأخرجه الحاكم في مستدركه. كتاب الفتن والملاحم. رقم 8614. 575/4. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

¹⁰⁶ يشير إلى حديث: "من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره...". أخرجه النسائي في سننه. كتاب عمل اليوم والليلة. باب ذكر اختلاف الناقليين لخبر ثوبان فيما يجير ن الدجال. رقم 10788. 236/6. والطبراني في المعجم الأوسط. رقم 1455. 123/2. والحاكم في المستدرک. كتاب فضائل القرآن. باب فضائل سور وأي. رقم 2072. 752/1. قال الألباني في الصحيحة. 150/6. صحيح.

¹⁰⁷ انظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشرط الساعية. محمد أحمد المبيض. مؤسسة المختار للنشر والطباعة. ط1. 1425 هـ. 2006 م. القاهرة. ص 748 وما بعده.

ويمكث الدجال ما شاء الله له أن يمكث في الأرض ويعيث فيها فسادا وطغيانا، ثم يخرج عيسى بن مريم عليه السلام علامة أخرى للساعة يثبتها القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمُ السَّاعَةِ فَلَا تَمَرُّنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾¹⁰⁸ ويصلي خلف إمام المسلمين كرامة لهذه الأمة ونبئها عليه الصلاة والسلام، ثم يقتل الدجال بباب لد¹⁰⁹ ويقاتل معه المسلمون اليهود، ويحكم الأرض بعدله وتنبت الأرض خصبها حتى يجتمع النفر على الرمانة يأكلون منها ويستظلون بقحفها¹¹⁰.

ويبقى المسيح الدجال في الأرض ما قدر الله له من بقاء عليه الصلاة والسلام ليواجه فتنة أخرى هي فتنة يأجوج ومأجوج. ويأجوج ومأجوج قبيلتان من بني آدم وردت قصتهما مع الملك الصالح ذي القرنين في سورة الكهف، وهما تعملان على حفر السد ونقبة كل ليلة للخروج ولكن الله أخر ذلك إلى قرب يوم القيامة فتنة وابتلاء. روى المصنف بسنده عن زينب ابنة جحش ؓ قالت: "استيقظ رسول الله ﷺ وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم مأجوج ومأجوج مثل هذه-وعقد سفيان بيده عشرة-فقلت: يا رسول الله ﷺ أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"¹¹¹. وهؤلاء القوم لشدة بطشهم لا طاقة لأحد بقتالهم، بل إنهم يحصرون نبي الله عيسى ومن معه ويصيبهم الجهد والبلاء حتى يتضرعون إلى الله بالدعاء سلاح المؤمنين الأقوى، فيخلصهم منهم وينقي الأرض من نتنهم ويعم الرخاء وتسود النعماء¹¹².

¹⁰⁸ الزخرف. 61. قال الطبري: "معناه أن عيسى ظهوره علم يعلمون به معي الساعة لأن ظهوره من أشرطها، ونزوله إلى الأرض دليل على

فنائها وإقبال الآخرة". تفسير الطبري. 631/21

¹⁰⁹ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب ذكر الدجال وصفته وما يكون معه. رقم 7560. 197/8 وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب الفتن. باب قتل عيسى بن مريم الدجال. رقم 2244. 515/4.

¹¹⁰ أورده ابن نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 288. ص 182. وأخرجه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن. باب فتنة الدجال وخروج

عيسى رقم 4077 1359/2. قال الألباني: ضعيف

¹¹¹ أورده المصنف في كتابه. ت: موسى البسيط. رقم 301. ص 196. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب اقتراب

الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج. رقم 7416. 165/8

¹¹² ورد هذا في حديث رواه أحمد في مسنده. مسند المكثرين من الصحابة. مسند أبي سعيد الخدري. رقم 11749. 257/18. .. وقال الألباني

في الصحيحة: صحيح. رقم 1793. 402/4.

ومن العلامات الكبرى الخسف الذي سيكون آخر الزمان، وفي الحديث المذكور في بداية المبحث¹¹³ إشارة إلى أنها ثلاثة خسوف تصيب الناس وهي مما يذهل ويخاف لذلك جاء في الحديث الاستعاذة منها في أذكار اليوم والليلة. روى المصنف بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك أن أغتال من تحتي -يعني الخسف-".¹¹⁴

ومن علاماتها النار التي تخرج في آخر الزمان تقود الناس إلى محشرهم. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنها ستكون هجرة بعد هجرة حتى يهاجر الناس إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام، حتى لا يبقى على الأرض إلا شرار أهلها تقذرهم روح الله تعالى وتلفظهم أرضهم، وتحشرهم نار من عدن مع القردة والخنازير تبیت معهم أينما باتوا وتقبل معهم أينما قالوا، ولها ما سقط منهم"¹¹⁵، وهذه النار دلت الأحاديث أنها تخرج من أقصى عدن وفي رواية عند أحمد أنها تخرج من بحر حضر موت وأنها تلازم الناس ليلاً نهاراً حتى تبلغ بهم أرض المحشر، وقد أرشد الرسول الكريم إلى لزوم الشام يومئذ مأمناً ومنجى.¹¹⁶

ومن علاماتها أيضاً طلوع الشمس من مغربها. والأحاديث التي أورد المصنف في هذه العلامة والتي تليها أسانيدها ضعيفة إلا أن معانيها ثبتت في الصحيحين وفي غيرهما من كتب السنة. روى المصنف عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم فيومئذ لا ينفع نفس إيمانها".¹¹⁷ وهذه العلامة منهية لاختيار الإنسان وإرادته.

¹¹³ أنظر ص 21 من هذا البحث.

¹¹⁴ أورده ابن نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 301. ص 205. وأخرجه أبو داود في سننه. كتاب الأدب. باب ما يقول إذا أصبح. رقم 5076. 479/4. وأخرجه ابن ماجه في سننه. كتاب الدعاء. باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح. رقم 3871. 1273/2. قال الألباني في تعليقاته على سنن ابن ماجه: صحيح.

¹¹⁵ أورده ابن نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 210. ص 182. وأخرج مسلم نحوه في صحيحه عن حذيفة بن أسيد. كتاب الفتن وأشرط الساعة. باب في الآيات التي تكون قبل الساعة. رقم 7468. 179/8.

¹¹⁶ الحديث رواه أحمد في مسنده. مسند المكثرين من الصحابة. مسند عبد الله بن عمر رقم 5376. 79/2. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ونص الحديث: "ستخرج نار من حضر موت أو من بحر حضر موت قبل يوم القيامة تحشر الناس قال قلنا يا رسول الله فماذا تأمرنا قال عليكم بالشام".

¹¹⁷ أورده ابن نعيم في الفتن. ت: موسى البسيط. رقم 370. ص 216. ومعناه صحيح من حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. تفسير سورة الأنعام. رقم 4359. 1697/4. ورواه مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان. باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. رقم 413. 95/1.

وأخر العلامات الكبرى للساعة إيراداً من قبل المصنف خروج الدابة، هذا الخروج الذي يلي طلوع الشمس من مغربها أو يسبقه كما في حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ثم خروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً"¹¹⁸.

وبالنظر إلى هذه الأمارات الكبرى وتتبع النصوص ومحاولة الجمع بينها يتبين أن أشراف الساعة -الكبرى- تبدأ بخروج الدجال لتتتابع بعده الآيات العظام المغيرة لنظام الكون وما اعتاد الناس عليه وتنتهي بقيام الساعة.¹¹⁹

المبحث الثالث: المنهج الوقائي لتحقيق الأمن:

إن هذه الفتن التي تعصف بالناس هنا وهناك وتموج يمناً ويسرة تترك الحليم في حيرة وتنسف العقول الراجحة. والشريعة الغراء جاءت لترشد المكلفين إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وتوضح لهم السبيل التي يسلكونها في الخطوب والمدهمات من خلال منهج رباني شامل متكامل يراعي خصائص النفس البشرية واحتياجاتها الفطرية. وفي الكتاب والسنة تتضح معالم هذا المنهج الوقائي العلاجي من خلال النصوص التي طبقها الرسول الكريم ﷺ في حياته المباركة أو أرشد عموم المسلمين إليها بما ثبت عنه من أحاديث.

المطلب الأول: المنهج الوقائي لتحقيق الأمن قبل وقوع الفتنة:

أ. التعوذ بالله من الفتن: الدعاء أقوى سلاح وأوثق صلة بين العبد وربّه يلتزمه المسلم في كل أحيائه، ولذلك كان من منهج النبي ﷺ ملازمة الدعاء ومناجاة ربه في كل أحواله، ومن دعائه التعوذ بالله من الفتن. وقد عقد الإمام البخاري لذلك في صحيحه في كتاب الفتن باباً سماه "باب التعوذ بالله من الفتن"، وأدرج تحته حديث: "عائذاً بالله من سوء الفتن"¹²⁰. ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن ما أورده المصنف في كتابه من حديث ابن عمر رضيهما: "اللهم إني أعوذ بك من أن أغتال من تحتي يعني الخسف"¹²¹.

ب. التسليح بالعلم الشرعي: منذ أن بُعث الرسول الأكرم ﷺ وهو يعلم صحابته ويرشدهم إلى ما فيه نفعهم ويحذرهم مما يضرهم، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا أوعية للعلم تلقوه ووعوه وبلغوه بكل أمانة وتفان غير مبدلين ولا مغيرين لما سمعوه من مشكاة النبوة.

¹¹⁸ أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب في خروج الدجال ومكنه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه. رقم 7570.

202/8

¹¹⁹ ابن حجر. فتح الباري. 353/11

¹²⁰ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب التعوذ من الفتن. رقم 6678. 2597/6

¹²¹ سبق تخريجه صفحة 19

ومما نقلوه حرص النبي ﷺ على تعليمهم ما هم مقبلون عليه من فتن الحياة. عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر نهارا ثم خطب إلى أن غابت الشمس، فلم يدع شيئا هو كائن إلى يوم القيامة إلا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه"¹²²، والمعلم القدوة ﷺ لم يكتف بالتعليم بل حث على التبليغ ونقل الخبر ليستفيد منه الآخر فتتق المحاذير وتسلم نفوس الجميع لأن الإسلام ينزل الآخر منزلة النفس. روى المصنف عن أبي بكره عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب...". الحديث¹²³ وكذلك في إرشاده ﷺ لمن طلع عليه الدجال أن يقرأ فواتح سورة الكهف دعوة لتعلم كتاب الله تعالى والتمسك به، والتقرب إلى الله والضراعة إليه بتلاوة كلامه المعجز.

ج. التعريف بالفتن الكائنة تحذيرا من الوقوع فيها؛ ومن منهجه ﷺ أنه ذكر لأصحابه كل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة تعريفا بها وتحذيرا منها. عن حذيفة بن اليمان قال: "أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في ذلك شيئا لم يحدث به غيري ولكن رسول الله ﷺ حدث مجلسا أنا فيه عن الفتن منها صغار ومنها كبار. فذهب أولئك كلهم غيري"¹²⁴.

ومن منهجه أيضا في التعريف بها تقريبها لأذهانهم بضرب الأمثال التي يعقلونها لمخالطتهم لها في سائر أيامهم. عن كرز بن علقمة قال: قال رسول الله ﷺ وسأله رجل: "هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه؟ قال: ثم تكون فتن كالظلل"¹²⁵، فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله يا رسول الله، فقال رسول الله: بلى والذي نفسي بيده لتعدون فيها أساود صبّا"¹²⁶ يضرب بعضكم رقاب بعض".¹²⁷ ففي هذا النص أجاب الرسول ﷺ السائل عما سأل وفي آخر تراه ﷺ يبادر بالسؤال جلبا للانتباه وتهيئة للأسماع لما سيلقى عليهم. عن أسامة بن زيد ﷺ قال: "أشرف النبي ﷺ على أطم فقال: هل ترون ما أرى؟ إني

¹²² رواه الترمذي. كتاب الفتن. باب أخبر النبي ﷺ أصحابه ما هو كائن. رقم 2191. 483/4. قال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

¹²³ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الأضاحي. باب من قال الأضحية يوم النحر. رقم 5230. 2110/5.

¹²⁴ أورده الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن. ت: موسى البسيط. ص 87. والحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن.

باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة رقم 7444. 172/8.

¹²⁵ ارتفاعا وعلوا كأنها سحب تظلل عليهم أو جبال.

¹²⁶ نوع من الحيات إذا ما أرادت أن تهش رفعت رأسها ثم نصبت.

¹²⁷ أورده الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن. تحقيق: موسى السبط. ص 79. والحديث أخرجه أحمد في مسنده. مسند المكيين. حديث

كرز بن علقمة ﷺ. رقم 15917. 260/25. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر"¹²⁸. قال ابن حجر في الفتح: " قوله أشرف أي نظر من مكان مرتفع قوله مواقع أي مواضع السقوط وخلال أي نواحيها شبه سقوط الفتن وكثرتها بسقوط القطر في الكثرة والعموم وهذا من علامات النبوة لآخباره بما سيكون وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان وهلم جرا"¹²⁹.

ومبالغة في التحذير من عموم الفتن وسيئ آثارها شبهها النبي ﷺ لصحابته بالليل المظلم لا ضوء قمر فيه ولا مصباح، لا يرى في خضمها شيء سوى السواد المبهم الذي لا اهداء معه ولا اقتفاء. عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة فتنا كأنها قطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع قوم فيها خلقهم بعرض من الدنيا يسير، أو بعرض من الدنيا"¹³⁰.

د. التنبيه على السنن الإلهية الخاصة بالفتن: إن لله تعالى سننا ماضية في عباده ونواميس قدرها على خلقه إذ له الخلق والأمر سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. ومن هذه السنن الربانية المتعلقة بالفتن أنها مرتبطة بمخالفة الشرع وما جاء به النبي الأمين، إذ الوقوع في المخالفة يُشرع بائها فتترادف الواحدة تلو الأخرى، ويصدق هذا المعنى حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر، فقد جاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم. قال: فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. فقلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنني ويمتدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر. فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قال: قلت: صفهم لي يا رسول الله. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا...."¹³¹.

¹²⁸أورده الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن. تحقيق: موسى السبط. ص 81. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب أبواب فضائل المدينة. باب أطام المدينة. رقم 1779. 664/2. وأخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب نزول الفتن كمواقع القطر. رقم 7427. 168/8.

¹²⁹ابن حجر. فتح الباري. 95/4.

¹³⁰أخرجه الترمذي في سننه. كتاب الفتن. باب ستكون فتن كقطع الليل المظلم. رقم 2195. 487/4. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده. مسند المكين. حديث الضحاک بن قيس ﷺ. رقم. 15753. 31/25. والحاكم في كتاب الفتن في مستدرکه. رقم 8355. 485/4. وقد سكت عنه الذهبي في التلخيص.

¹³¹أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب كيف يكون الأمر إذا لم تكن جماعة. رقم 6673. 2595/6. وأخرجه مسلم في كتاب الإمامة. باب الأمر يلزوم الجماعة عند ظهور الفتن. رقم 4890. 20/6.

ولا شك أن المخالفة مفضية للمعصية لأنها خروج عن مراد الله ورسوله، وأن البيئة التي تنتشر فيها المعاصي بيئة ترتع فيها الفتن -صغارها وكبارها- فيجيد تبعاً لذلك أهلها عن الجادة والصواب، ويفوتهم من الخير بقدر ما ابتعدوا ونأوا عن المنهج الحق والصراط المستقيم أفراداً كانوا أو جماعات. ومن أشد هذه الفتن ضرراً الخروج على الحاكم لما يترتب عليها من ضياع للدين وفوات لحظوظ الدنيا، لذلك كان من منهج النبي ﷺ الوصيةُ بوجوب الطاعة وإتباع ولي الأمر ولزومه ما وُجد بين الجماعة. أورد المصنف في كتابه رواية أخرى للحديث السابق وفيها زيادة: "فإن لقيت لله يومئذ خليفة فالزمه"¹³².

ومنها أيضاً أن الفتن تتتابع وتزايد عاماً بعد عام. أورد المصنف بسنده إلى الزبير بن عدي أنه سمع أنساً ﷺ يقول: "لا يأتي عليكم عام إلا وهو شرّ من الآخر، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم"¹³³. والمستقرئ للتاريخ يجد أنه مذتوف في رسول الله ﷺ والفتن تتصاعد والمحدثات تتطور، وغربة الإسلام تزداد. وقد اختلف في تفسير الإطلاق الوارد في أثر أنس بن مالك على أقوال اختلفت منها ابن حجر تفسير ابن مسعود فيما رواه عنه مسروق أنه قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشدّ مما كان قبله أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماءكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاً يجيء قوم يفتنون برأيهم"¹³⁴. وذهاب العلماء يعتبر ثلماً لا تسدّ لأنهم حجر الزاوية في هيكل الأمة وعمودها المتين، لذلك يتوجب على المسلم أن يعرف عمن يأخذ دينه ويحذر أئمة الفتنة والمروجين لها ويحذر الانسياق وراء التأويلات الواهية وتقصّي الشبهات من غير بيئة ولا برهان، فكم من دور خربت ودول دمّرت بفتاوى مغلوطة أو مقصودة أنتجت التناحر والافتتال بين المسلمين أفراداً وشعوباً وخلفت دماراً وتشرداً.

المطلب الثاني: المنهج الوقائي لتحقيق الأمن أثناء وقوع الفتنة وبعدها:

أ. لزوم العبادة : المسلم مطالب بالتعبد لله تعالى في كل وقت وحين لأن عبادة الله بتوحيده هي الغاية من الخلق، وفي أوقات الشدة والمحنة يكون الالتجاء إلى الله تعالى ألزماً والتعبد له أوجب ليحصل للإنسان الأمن مما يخافه ويحذره فتستكين نفسه ويهدأ ضميره. وهذا هو منهج النبوة في علاج الفتن النازلة وذلك بالانكباب على عبادة الخالق ودعائه والضراعة إليه بدل التعلق بما سواه مما هو واقع تحت مراده ومشيتته جل وعلا.

¹³² أخرجه أحمد في مسنده. باقي مسند الأنصار. مسند حذيفة بن اليمان رقم 23473. 403/5. وأخرجه أبو داود في كتاب الفتن. باب ذكر الفتن ودلائلها. رقم 4246. 155/4. قال الألباني في الصحيحة: حسن.. رقم 399/4.

¹³³ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه. رقم 6657. 2591/6. وأخرجه أحمد في مسنده. مسند المكثرين من الصحابة. مسند أنس بن مالك. رقم 12365. 132/3. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

¹³⁴ ابن حجر. فتح الباري. 22/13.

هذه العبادة التي تكون في أشد ما يعترض العبد من هموم ووسط التفات الأكثرية للأحداث الواقعة وانغماس منهم في ألوان الفتن المحدثه ربّ الشارع عليها أجرا عظيما وثوابا كبيرا نظير الصبر والثبات على خط الطاعة وعدم الانجراف مع من انجرف. روى المصنف من حديث النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "العبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي" ¹³⁵.

ب. **التخفّف من الدنيا واعتزال الفتن:** ومن المنهج النبوي في التعامل مع الفتن التخفف من الدنيا والنأي بالنفس عن الوقوع في المحذور لأن كثرة المال والعرض أدعى للسقوط في مطباتها، وكذلك المخالطة والمعاشرة تؤثران على العبد وتزجان به في معتركها من حيث يشعر أولا يشعر. والقرآن الكريم أرشد الفتية إلى التحول من ديارهم ومفارقة بيئتهم حفاظا على سلامة دينهم ومعتقدهم وصيانة لأرواحهم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ١٦﴾ ¹³⁶، وكذلك منهج النبي صلى الله عليه وسلم جاء على هذا النحو من النصيح والتوجيه فيما رواه المصنف من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك أن يكون خير مال امرئ مسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن" ¹³⁷. وفي المصدرين "الإيواء والفرار" دلالة مشتركة على خطر مداهم أو عدو ملاحق لا بد من مباعده ومجانبته. ومن فقه البخاري رحمه الله أنه عقد في صحيحه بابا سماه "باب التعرّب في الفتنة" أي الخروج إلى البادية إشارة منه إلى فضيلة الاعتزال لمن خاف على دينه الفتنة ¹³⁸.

ج. **التعامل مع الوقائع الحادثة بتعقل وبصيرة ولزوم الجماعة:** استشراف الفتن والوقوع فيها أمر جلل ينبغي للعاقل أن يحترز منه ويجتهد في الاحتراز. وإذا ما اشتبهت عليه الأمور توجب عليه التعقل والتبصر فيها بعيدا عن مسايرة الجموع التي لا يدل بالضرورة تجمّعها على الحق والصواب، بل لا بد من الاحتياط والرجوع لأهل الحلّ والعقد المؤهلين شرعا للرأي والفتوى.

¹³⁵ أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب فضل العبادة في الهرج. رقم. 7588. 208/8. وأخرجه الترمذي في سننه. كتاب الفتن. باب الهرج والعبادة فيه. رقم. 2201. 489/4. قال أبو عيسى: حديث صحيح غريب. وابن ماجه في سننه. كتاب الفتن. باب الوقوف عند الشبهات. رقم 3985. 1319/2.

¹³⁶ الكهف. 16.

¹³⁷ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب خير مال المسلم. رقم. 3124. 1201/3.

¹³⁸ ابن حجر. فتح الباري. 42/13. بتصرف.

والإسلام جاء محذرا من التسرع والانزلاق في متاهات الفتن الحالقة للدين المشتتة لوحدة المسلمين سيما ما تعلق منها بالدماء التي عصم الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من قاتل تحت راية عُمَيَّة يغضب لعصبة أو ينصر عصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه" ¹³⁹.

هذا التحذير الشديد من سفك الدماء البريئة بغير وجه حقّ يقابله حثّ وتوكيد على لزوم جماعة المسلمين وإمامهم- ما وجد-أيام الفتنة وعدم الخروج عليه وإن ظلم وجار لأن الالتفاف حوله التفاف حول وحدة المسلمين وعصمة لدمائهم وأراضيهم من أن تستباح وتمكين لدين الله وإقامة لشريعته، ، وإن لم يكن موجودا فالتعرب التعرب. عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: "قلت يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ يعني الفتن. قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قال: قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" ¹⁴⁰. وما ذكر التاريخ ولا شهد الواقع بتحقيق نصر أو تمكين في الأرض في الخروج على وليّ الأمر وشقّ عصا الطاعة أبدا.

د. السعي للإصلاح: لا يخلو زمان من عباد لله تعالى خصّهم بالحكمة والبصيرة وجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشرّ، يسعون للإصلاح ويمشون في حوائج الناس. هؤلاء العباد في بيت النبوة تربوا أهلا اصطفاهم الله لنبيه وحمله لسنته ﷺ ثم ورثته من بعده ﷺ.

ودور هذه الفئة من الناس في التصدي للفتن كبير وواجبهم عظيم لذلك كان من منهج النبي ﷺ وصحابته السعي للإصلاح بين المتخاصمين درء للفتنة ودفعاً للضرر، وخير مثال على ما ساقه المصنف بسنده من قول النبي ﷺ للحسن بن علي: " ابني هذا سيد وسيصلح الله على يديه فئتين من المسلمين عظيمتين" ¹⁴¹، وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ إذ تنازل الحسن حقنا لدماء المسلمين وحفظا للدولة من أن تمرّق.

هـ. تمنى الموت: وقد رخص الشارع في تمنى الموت لمن خشي الفتنة في دينه وتبدل حاله، وهذه الرخصة نصّ عليها القرآن والسنة. فمن القرآن قول الله تعالى على لسان العفيفة مريم ابنة عمران: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا ﷻ ﴾ ¹⁴².

¹³⁹ أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الإمارة. باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن. رقم 4892/6/20

¹⁴⁰ أخرجه البخاري في كتاب المناقب من صحيحه. باب علامات النبوة في الإسلام رقم 3411. 1319/3. ومسلم في صحيحه. كتاب الإمارة.

باب الأمر بلزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن. رقم 4890/6/20

¹⁴¹ أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الصلح. باب قول النبي ﷺ للحسن. رقم 2557. 962/2

¹⁴² مريم. 23

قال ابن كثير: "فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة"¹⁴³، ومن السنة ما رواه المصنف بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني كنت مكانك"¹⁴⁴. وقد أدرج البخاري في صحيحه في كتاب الفتن بابا سماه "باب لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور" ساق فيه هذا الحديث. قال عن هذه الترجمة ابن بطال فيما نقله عنه ابن حجر: "تغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر"¹⁴⁵.

هذه أبرز سمات المنهج النبوي للوقاية من الفتن وخصائصه التي تميزه عن مناهج البشر القابلة للأخذ والترك والقبول والرد لما فيها من نقصان وتفلّت، وبياناً لكيفية الاحتراز من الوقوع في هذه الفتن صغيرها وكبيرها، ثم لكيفية مجابتهما بما فيه تحقيق الأمن والنجاة وكذا تحقيق العصمة لدين العبد ونفسه إذا ما نزلت به هذه الفتن.

¹⁴³ اسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. ت: محمد شمس الدين. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1419هـ. 223/5

رواه المصنف مرسلًا، لكنه عند مسلم في صحيحه. كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل رقم 18. 8/182

¹⁴⁴ وأخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور. رقم 6698. 6/2604

¹⁴⁵ ابن حجر. فتح الباري. 80/13

الخاتمة:

هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على موضوع الفتن التي تعترض المسلم في حياته والتي لا منجى له منها إلا بالاعتصام بالمنهج الذي لا خطأ فيه ولا ضلالة معه، وذلك من خلال دراسة موضوعية في كتاب الفتن للإمام المروزي. هذا الكتاب الذي يجد فيه العوام ضالّتهم لكل نازلة تحلّ بهم ويراه أهل الاختصاص مستودعا لأنواع الضعيف من الحديث ومتروكه . ومن الإنصاف القول بأن الكتاب على ما فيه من أنواع الضعيف اشتمل على المقبول والصالح للاحتجاج على أصول الفتن الكائنة إلى يوم القيامة، وجمع صاحبه فيه ما ينير طريق المسلم ويزيده بصيرة بما يعترض طريقه من فتن وملاحم. والعمل في البحث جرى ببيان المفاهيم وتتبع دلالات الفتن الواردة في الكتاب وتصنيفها، إذ منها ما يقع على الفرد ومنها ما يصيب الجماعة ومنها ما للبعد فيه يد ومنها ما هو قدر كائن لا محالة كما أسلفت الإشارة. ثم إبراز منهج النبي ﷺ في اتقاء هذه الفتن حفاظا على أمن الفرد والمجتمع وصيانة للدين.

وقد خلص البحث إلى مقررات ونتائج:

*المقررات:

- الفتنة ابتلاء من الله وامتحان للعبد.
- الفتن كائنة إلى يوم القيامة منها ما يقدر المسلم على دفعه ومنها ما لا يقدر كأشراط الساعة الكبرى.
- الفتنة إن لم تورث طاعة ورّثت معصية.
- أمن الجماعة من أمن الفرد ولا خير في الخروج عن الجماعة.
- يتحقّق الأمن بإتباع منهج النبي ﷺ في مواجهة الفتن.

*النتائج:

- منهج النبي ﷺ منهج واقعي قابل للتطبيق والصحابة خير مطبق له.
- الفتن الواردة في كتاب المروزي تشمل الابتلاء والاقتتال وأمارات الساعة.
- التأمين من الفتن يكون ضمن دوائر: الفرد، الأسرة، الجماعة والأمة.
- التحذير من إسقاط أحاديث الفتن على ما يقع في حياة الناس من غير أدلة بينة لأن ذلك يزعزع الأمن.
- ما تعيشه بعض المجتمعات المسلمة من التناحر والاقتتال سببه مخالفة النص ونتيجته غياب الأمن.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1/ ابتسام الزويني وآخرون. المنهج وتحليل الكتاب. ط1. عمان. دار صفاء للنشر والتوزيع، 1434هـ/2013.
- 2/ أحمد بن شعيب النسائي. السنن الكبرى. ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1421هـ/2001م.
- 3/ أحمد بن عبد الله الشيباني. مسند الإمام أحمد. ت: شعيب الأرنؤوط. وآخرون. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1421هـ/2001م
- 4/ أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. ت: بشار معروف. ط1. بيروت. دار الغرب الإسلامي. 1422هـ/2002م.
- 5/ أحمد بن علي الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. ت: محمود الطحان. الرياض. مكتبة المعارف. 1403هـ/1989م.
- 6/ أحمد بن علي بن حجر. تهذيب التهذيب. ط1. دمشق. دار الفكر. 1404هـ/1984م.
- 7/ أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت. دار المعرفة. 1379هـ.
- 8/ أحمد بن علي بن حجر. المطالب العالية. ت: سعد الشثري. ط1. الرياض. دار الغيث للنشر. 1420هـ/2000م.
- 9/ أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. ت: عبد السلام هارون. ط1. دمشق. دار الفكر. 1399هـ/1979م
- 10/ أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة. عالم الكتب. 1429هـ/2008م
- 11/ أسامة عبد السميع. الأمن الاجتماعي في الإسلام. الإسكندرية. دار الجامعة الجديدة. 2009م
- 12/ إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. ت: محمد شمس الدين. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1419هـ.
- 13/ الحسين بن مسعود البغوي. معالم التنزيل. ت: محمد عبد الله النمر وآخرون. الرياض. دار طيبة. 1409هـ
- 14/ حمد بن محمد الخطابي. غريب الحديث. ت: عبد الكريم العزباوي. مكة المكرمة. جامعة أم القرى. 1402هـ.
- 15/ سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الأوسط. ت: طارق الحسني. القاهرة. دار الحرمين. 1415هـ.
- 16/ سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. ط1. بيروت. دار الكتاب العربي. دون سنة.
- 17/ عبد الرحمن بن يعي المعلي. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. ت: الألباني وآخرون. ط2. بيروت. المكتب الإسلامي. 1406هـ/1986م.
- 18/ عبد الرؤوف المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. القاهرة. عالم الكتب. 1410هـ/1990م.
- 19/ عبد الرزاق بن همام الصنعاني. مصنف عبد الرزاق. ت: حبيب الأعظمي. ط2. بيروت. المكتب الإسلامي. 1403هـ.
- 20/ عبد الله بن عدي الجرجاني. الكامل في ضعفاء الرجال. ت: جماعة بإشراف الناشر. ط1. دمشق. دار الفكر. 1404هـ/1984م
- 21/ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. المصنف في الأحاديث والآثار. ت: كمال الحوت. ط1. الرياض. مكتبة الرشد. 1409هـ.
- 22/ علي بن محمد الجرجاني. التعريفات. ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1403هـ/1983م..

- 23/المبارك بن محمد بن الأثير .جامع الأصول في أحاديث الرسول. ت:عبد القادر الأرناؤوط. ط1. دمشق. مكتبة دار البيان. 1389هـ/1969م
- 24/محمد أحمد المبيض. الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراف الساعة. القاهرة. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. ط1. 1425هـ. 2006م.
- 25/محمد بن أبي بكر بن القيم. أعلام الوقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1411هـ / 1991م.
- 26/محمد بن أحمد الذهبي . تذكرة الحفاظ..ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1419هـ/1989م.
- 27/محمد بن أحمد الذهبي. سير أعلام النبلاء. ت:شعيب الأرناؤوط وجماعة. ط11. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1417هـ/1996م
- 28/محمد بن أحمد الذهبي. العبر في خبر من غير. ت:محمد زغلول. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1405هـ/1985م.
- 29/محمد بن أحمد الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ت:علي البجاوي. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية. 1382هـ/1963م
- 31/محمد بن اسماعيل البخاري. صحيح البخاري. ت:مصطفى ديب البغا. ط3. بيروت. دار ابن كثير، اليمامة. 1407هـ/1987م.
- 31/محمد بن حبان البستي. الثقات. ت:محمد خان. ط1. حيدر آباد. دار المعارف العثمانية. 1393هـ/1973م
- 32/محمد بن حبان البستي. صحيح ابن حبان. ت:شعيب الأرناؤوط. ط2. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1414هـ/1993م.
- 33/محمد بن سعد البصري. الطبقات الكبرى. ط1. بيروت. دار صادر. 1388هـ/1968م.
- 34/محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. الملل والنحل. ت:عبد العزيز الوكيل. القاهرة. مؤسسة الحلبي وشركاؤه. 1387هـ/1968م
- 35/محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. معرفة علوم الحديث. ط2. بيروت. دار الكتب العلمية. 1397هـ/1977م
- 36/محمد بن عيسى الترمذي. سنن الترمذي. ت: محمد شاکر وأخران. ط2. القاهرة. مطبعة الحلبي وشركاؤه . 1395هـ/1975م.
- 37/محمد بن منظور الإفريقي. لسان العرب. ط1 بيروت. . دار صادر. 1412هـ/1992م.
- 38/محمد بن يزيد بن ماجة القزويني. سنن ابن ماجة. ت:محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. بيروت. دار الفكر. 1424هـ/2003م
- 39/محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. تونس. الدار التونسية. 1984م
- 40/محمد متولي الشعراوي. تفسير الشعراوي. ت:أحمد عمر هاشم. القاهرة. أخبار اليوم. 1991م
- 41/محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة. ط1. الرياض. مكتبة المعارف. 1415هـ
- 42/محمود بن أحمد العيني. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ت:عبد الله محمود عمر. بيروت. دار الكتب العلمية. 1421هـ/2001م..
- 43/مسلم بن الحجاج القشيري. الجامع الصحيح. ت:مركز البحوث وتقنية المعلومات. القاهرة. دار التأصيل. 1435هـ/2014م
- 44/موسى اسماعيل البسيط. الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن. ط1. غزة مكتبة الجامعة. 1416هـ/1996م.

45/نعيم بن حماد المروزي الفتن. ت:عبد الله السيسي. ط1. المنصورة. دار لؤلؤة. دون سنة نشر.

46/نعيم بن حماد المروزي. الفتن. ت:مجدي بن منصور الشورى. ط1. بيروت دار الكتب العلمية. 1418هـ/1997م.

47/وليد بن حسن العاني. منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها. ط1. العبدلي. دار النفائس. 1420هـ/1999م

48/يوسف بن عبد الرحمن المزي. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. ت:بشار معروف. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1400هـ/1980م

49/يوسف القرضاوي. الخصائص العامة للإسلام. ط10. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1418هـ. 1997م

البحوث:

*بحث على النت بعنوان: مفاهيم حول الوقاية. نشر بتاريخ: 2012/12/18 على صفحة: مركز الملك فهد بن عبد العزيز للجودة في المقدمة. الموقع:

[http://kfcq.hasaedu.sa/?portfolio=%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%AD%D9%88%D9%84-](http://kfcq.hasaedu.sa/?portfolio=%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A9)

[-D8%A7%D9%84%D9%88%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A9.](http://kfcq.hasaedu.sa/?portfolio=%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A9)

تاريخ الاطلاع: 2021/12/19